تعظيم الرجاء في الله تعالى

١ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «يا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي.

٢ يا بْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي.

٣ يا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[٣٣١].

(٣٣١) رواه الترمذيُّ (٣٥٤٠)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦١٦).

آيات

- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].
- ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].
- ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].
- ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

الراوي

هو: أبو حَمْزةَ، أنسُ بنُ مالكِ بنِ النضرِ بنِ ضَمْضَم الأنصاريُّ، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وآخر أصحابه بالبصرة موتًا، قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة وهو ابْنُ عَشْرٍ، وَمَاتَ وهو ابْنُ عِشْرِينَ، وكان يَخدُم النبيَّ ﷺ فَصَحِبَه أتمَّ الصُّحْبَةِ، وَلَازَمَهُ أَكْمَلَ الْمُلَازَمَةِ مُنْذُ هَاجَرَ، وإلى أن مات، وغزا معه غَيْرَ مَرَّةٍ، وَبَايَعَ تَحْتَ الشجرة. دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، وكانت نَخَلاته تحمل في السَّنة مرتَين، تُوفِّي سنةَ: (٩٣هـ)[١].

خلاصة

يحضُّ اللهُ تعالى عبادَه على التوبة، وأنه سبحانه يغفر جميع الذنوب ما بلغتْ.

(١) تراجع ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبيِّ (٤/ ٤١٧-٤٢٣)، «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١/ ٢٣١)، «معجم الصحابة» للبغويِّ (١/ ٤٣)، «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ١٥١-١٥٣).

١ يتودَّد اللهُ سبحانه على خلقه ويتفضلُ عليهم ويحضهم على التوبة والمسارعة إلى الاستغفار؛ فإنه ما دعاه عبدٌ **وطلب مغفرته** إلا غفر له ذنوبه جميعًا، ولا **يعبأ سبحانه بكثرتها ولا يهتمُّ بعِظَمِها**، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٢ ثم ينادي سبحانه على عبدِه من جديدٍ، ليخبره أنَّ ذنوبَه وإن كثرت وطغت حتى ملأت الأرض وبلغت **السَّحاب**، ثم جئتني مستغفرًا مُنيبًا لغفرتها لك ولا أُلقي لها بالًا.

٣ ثم يبين سبحانه فضلَ التوحيد، فيذكر أنَّ العبدَ لو جاءه بملء الأرض ذنوبًا وسيئاتٍ، غير أنَّه يُوَحِّدُه ولا يشرك به شيئًا، لَقَابله سبحانه بمثلِ ذنوبه مغفرةً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

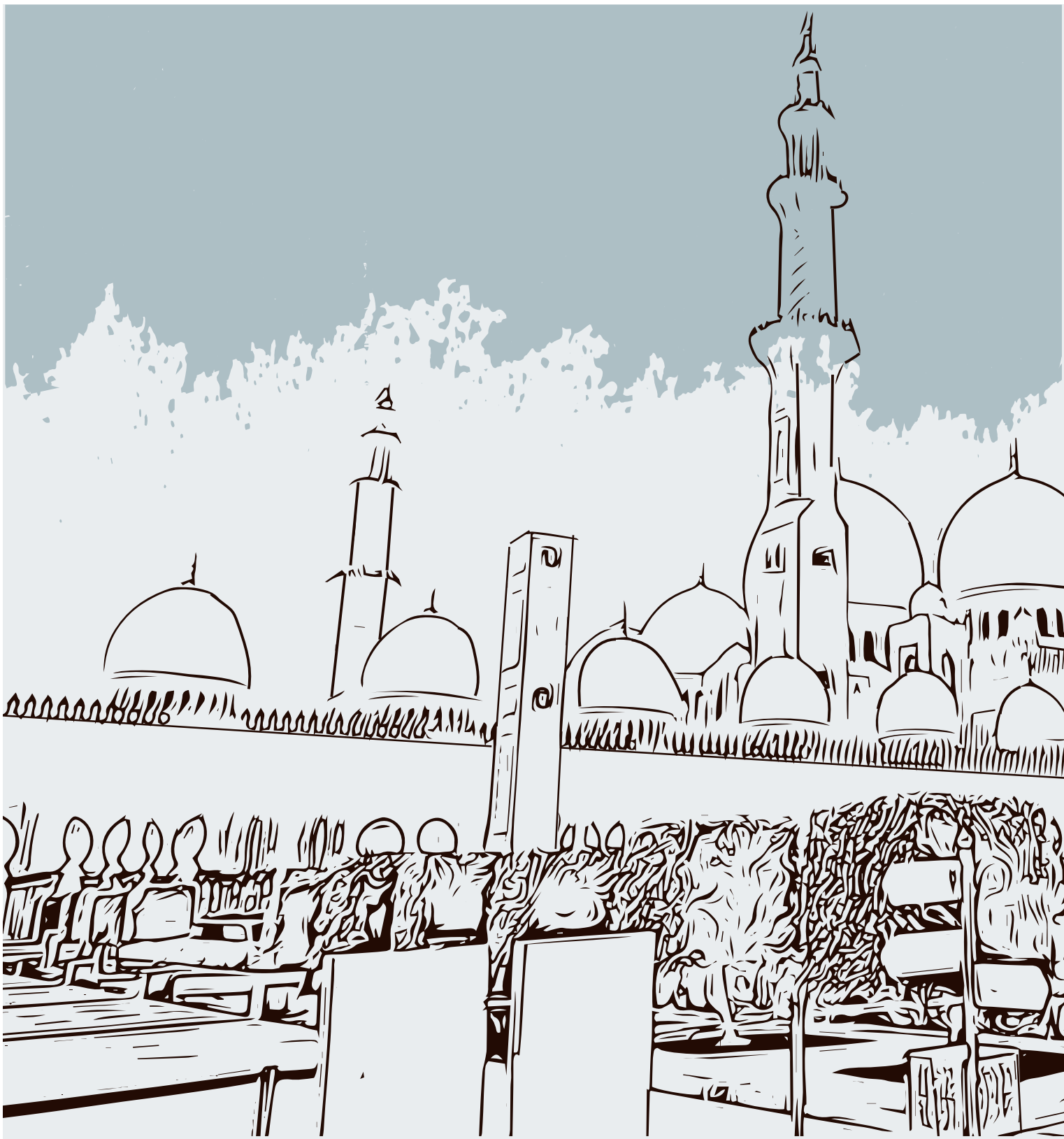

١ (١) تضرَّع إلى اللهِ تعالى والجأ إليه، فمن يجيب الدعاءَ غيره؟

٢ (١) تعبَّد إلى اللهِ تعالى بالدعاء؛ فالدعاءُ عبادةٌ من العبادات، قال ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»(٣٣٢).

٣ (١) لا تستعظم ذنبًا عن مغفرة اللهِ سبحانه؛ فاللهُ جلَّ وعلا يغفر الذنوب جميعًا.

٤ (١) اطمع في مغفرةِ اللهِ جلَّ جلالُه، ولا تتكبر على خالقِك.

٥ (١) إذا دعوتَ اللهَ سبحانه بشيءٍ وأردت استجابة الدعاء، فاحرص على استيفاء شروط الدعاء، من الإخلاص لله تعالى، والأكل من حلالٍ، وعدم الدعاء بإثمٍ، والإلحاح على اللهِ سبحانه، وحضور القلب ساعة الدعاء.

٦ (١) ظُنَّ بربِّك إذا دعوتَ واستغفرتَ خيرًا؛ فقد قال سبحانه في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»(٣٣٣).

٧ (٢) الاستغفار سببٌ لمغفرة الذنوب والمعاصي وإن بلغت السماء. فاحرص عليه.

٨ (٢) لزوم الاستغفار سُنَّةٌ نبويَّةٌ، قال ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»(٣٣٤).

٩ (٢) الاستغفار يمحو الذنوب ويزيد الحسنات ويرفع الدرجات ويبارك في الرزق، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠- ١٢].

١٠ (٢) الاستغفار أمانٌ من نزول العذاب في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

١١ (٢) يُروى عن لقمانَ - عليه السّلام - أنّه قال لابنه: «يا بُنيَّ، عَوِّدْ لسانك: اللّهمَّ اغفر لي؛ فإنّ لله ساعاتٍ لا يَرُدُّ فيها سائلًا»(٣٣٥).

---

(٣٣٢) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذيُّ (٣٢٤٧)، والنسائيُّ (٣٨٢٨)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وقال الترمذيُّ: حسن صحيح، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح سنن أبي داود» (٣٢٤٧).

(٣٣٣) رواه البخاريُّ (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣٣٤) رواه البخاريُّ (٦٣٠٧).

(٣٣٥) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٤٠٨).

١٢ (٢) داوم على الاستغفار، فقد قال الحسن رحمه الله: «أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طُرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم أينما كنتم؛ فإنّكم ما تَدرُون متى تنزل المغفرة»[٣٣٦].

١٣ (٢) على المسلم أن يُبادر بالتوبة والاستغفار والمسارعة في الصالحات؛ فاللهُ واسعُ المغفرة، يبسُط يده باللَّيل ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويَبسُط يده بالنهار ليتوب مُسيءُ الليل، ويغفرُ جميع الذُّنوب ولا يُبالي.

١٤ (٣) إياك والشِّرك؛ فإنه يُحبط العملَ ولا يُغفر إلا بالتوبة.

١٥ (٣) التوحيدُ أمانٌ من الخلودِ في النَّار، وسببٌ لغفران الذنوبِ والتجاوز عن السيئات.

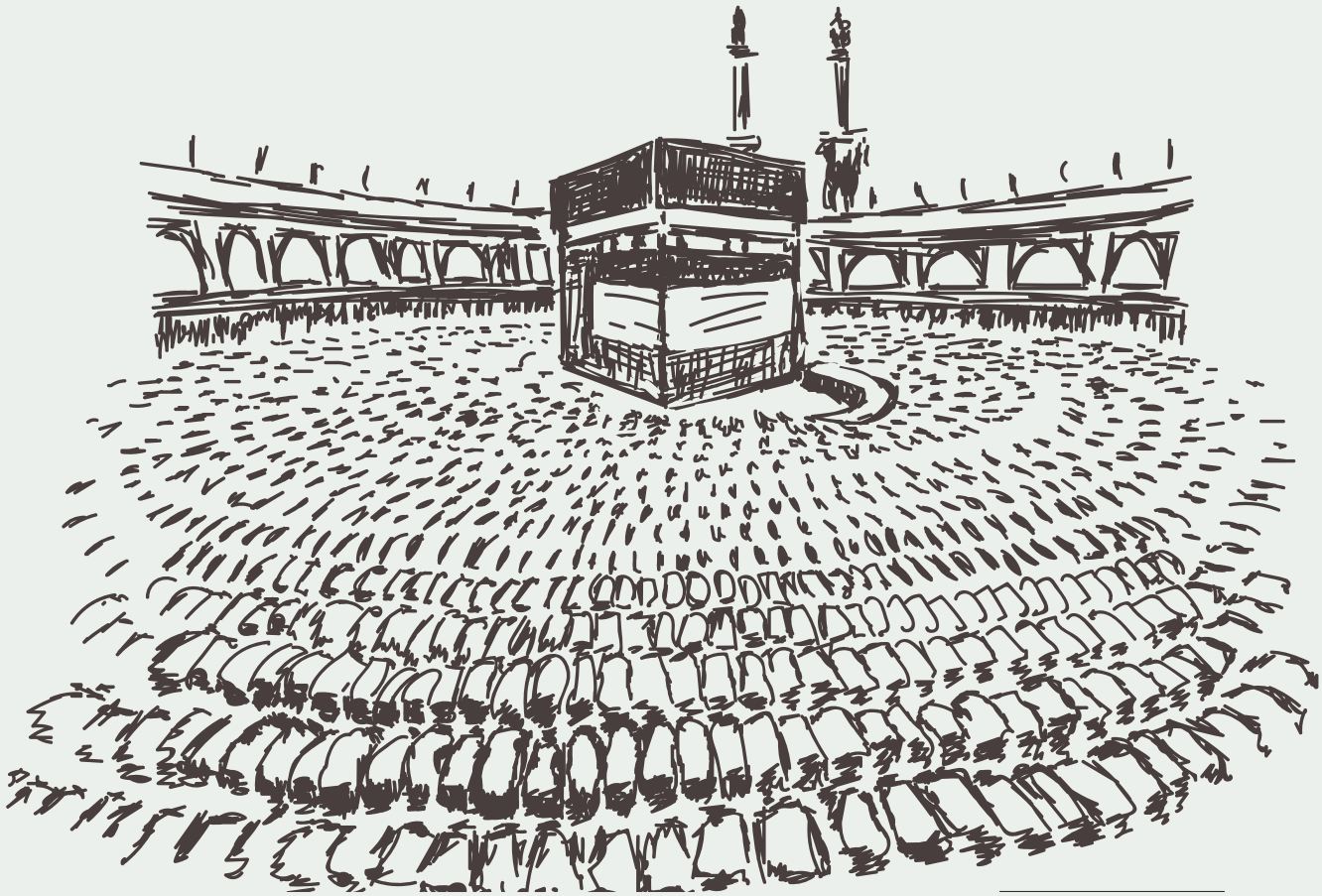

(٣٣٦) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٤٠٨).

١٦ (٣) ينبغي على كلِّ مسلمٍ أن يتعوَّذ بالله سبحانه من الشِّرك الأصغر والأكبر.

١٧ (٣) ربُّ يتكرم على عباده ويتفضل عليهم وهو الغني عنهم، ربٌّ كريمٌ ودودٌ، يتحتم علينا أن نتودَّد إليه بالطاعات ونوافل الأعمال.

١٨ (٣) قال ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»(٣٣٧).

(٣٣٧) رواه الترمذي (٢٦٣٩).

قال الشاعر:

تَضَرُّعِـي وَابْتِهَـالِي بِدَمْـعٍ عَـاصٍ جَفَـاكَ
وَصِرْتُ أَدْعُـو وَأَرْجُـو مُؤَمِّـلاً رُحْمَـاكَ
فَارْحَـمْ ضَعِيفًـا مُقِـرًّا بِذَنْبِـهِ قَـدْ أَتَـاكَ
تَبَتُّـلِي وَصَـلاتِي دَعْـو وَأَرْجُـو رِضَـاكَ
أَفَاغْفِـرْ ذُنُـوبِي وَهَبْنِـي فِي كُلِّ أَمْـرِي هُـدَاكَ

وقال غيره:

إلهـي لا تعذِّبنـي فـإني مُقِـرٌّ بالـذي قـد كان منِّـي
ومـا لي حيلـةٌ إلَّا رجائـي لعفـوِكَ إن عفـوتَ وحُسْـنُ ظنِّي
فكـم مـن زلَّـةٍ لي في البرايـا وأنـتَ عـليَّ ذو فضـل ومَـنِّ
يظـنُّ النَّـاس بي خـيرًا وإنِّي لـشرُّ النـاسِ إن لم تعـفُ عنِّـي